

يقول نابليون بوناپرت: إن الرجال الذين غيروا وجه العالم لم يصلوا إلى ما هم فيه بالتأثير في القادة، بل بتحريك الجماهير، فالتأثير في القادة هو أسلوب التآمر، ولا يؤدي إلا إلى نتائج ثانوية، أما التأثير في الجماهير فهو ضربة العبقريّة التي تغير وجه العالم.

فمن لا يحسن فنون الاتصال سيجد نفسه في عزلة تامة عن الآخرين، وسيضطر إلى مضاعفة الجهد والوقت والمال حتى يحصل على نتائج متواضعة ومحدودة.

والكلمة الطيبة كانت إحدى أساليب النبي صلى الله عليه وسلم عند تواصله مع الآخرين، وهي وصيته لأمته كما ورد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتقوا النار ولو بشق تمرّة، فمن لم يجد فكلمة طيبة ". (متفق عليه)

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحقرنّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق ". (رواه مسلم) وروى الترمذي عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه في أوقات متفاوتة ومتباعدة نسبياً حتى لا يملّوه ولكي يبقوا على أنس من حديثه، فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس مرة، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لو ددتُ أنك ذكرتنا كل يوم، فقال: أما إنه يمنعي من ذلك أني أكره أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السامة علينا. (متفق عليه)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعان ما يصل إلى قلوب الآخرين وتملاً محبته أفندتهم بتواضعه الجَمّ الذي أدبه عليه رب العالمين، يقول الله تعالى: " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ."

وهذا التواضع الذي يجعل من الإنسان قريباً من الآخرين لا بد أن يتزين به كل مصلح ذكي، وكل عاقل لبيب، وكل داعية مخلص تاقت نفسه إلى ما عند الله تعالى فاسرعت جوارحه تاركة بصماتها في دنيا الناس مؤثرة تأثيراً يحبه الله ويرضاه.

فقد روى الإمام مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد ."

وروى الإمام مسلم كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ."

وعن أنس رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيانٍ فسلمَّ عليهم وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلُه. ( متفق عليه )

وعن أنس رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم، فتنتلق به حيث شاء.

وروى البخاري عن الأسود بن يزيد قال: سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها: " ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله (يعني: خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة.

من هنا وجب على القادة والمؤثرين الأفاضل أن يزدادوا تواضعاً وخفضاً للجناح ليزدادوا رفعةً وسمواً ومن ثم تمكناً وتأثيراً.